مخطوطة الحرب بين مخطوطات البحر الميت

مخطوطة الحرب هى إحدى المخطوطات السبعة التى عثر عليها فى الكهف رقم ١ سنة ١٩٤٧ ولم تكن معروفة من قبل مثل الكتابات المقدسة الأخرى المعروفة من قبل وعنوان هذه المخطوطة الكامل هو (لفافة حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام). وليس هناك عمل مماثل لها فى الإنتاج الفكرى اليهودى أو المسيحى العائد إلى تلك الفترة أى فترة المعبد الثانى أو حتى الفترة التالية ولم يعثر بين مخطوطات الطائفة على أية كتب شبيهة. وهذه المخطوطة هامة من عدة وجوه: فهى تقدم أول معلومات وبيانات شاملة حول التنظيمات العسكرية للجيوش اليهودية خلال الفترة الأخيرة للمعبد الثانى. ونص المخطوطة يشتمل على مصطلحات عسكرية وفنية لم تكن معروفة لنا من قبل. ويقول إيجال يادين من الجامعة العبرية وهو أحد الثقاة في هذه المخطوطة إنها "تتضمن أقدم سجل للعسكرية العبرية وصلنا بهذا الوضوح وبهذه الدقة أكثر من أى شيء آخر حول الموضوع كتبه أفضل المؤرخين الكلاسيكيين وطالما أن الطائفة صاحبة مخطوطة الحرب رأت أن تحتذى نمط التنظيم التى اتبعته القبائل الإسرائيلية خلال فترة التيه فى البرارى (الموصوفة فى سفر الأعداد). لقد قدمت لنا هذه المخطوطة الفرصة لدراسة هذا التنظيم وأن نفهم بعض الفقرات غير الواضحة فى وصوفات الكتاب المقدس.. وإلى جانب هذا فإن هذه اللفافة تسجل وتسلط الأضواء على عدد من الصلوات الجميلة الجديدة التى لم تكن معروفة لنا من قبل.

وكما ألمعت لماما من قبل تم اكتشاف هذه المخطوطة ضمن مخطوطات سبع فى كهف قمران ١ سنة ١٩٤٧ وهى إحدى المخطوطات الثلاثة التى اشتراها البروفيسور سوكنيك من دلال الآثار فى بيت لحم. كما عثر على قطع من أربعة

مخطوطات مختلفة للفافة الحرب هذه فى الكهف الرابع مما يساعد يقينا على سد فجوات عديدة موجودة فى المخطوطة الكاملة حيث النص فى بعض المواضع مختلف. كذلك تم اكتشاف قطع مخطوطة أخرى من نفس هذه اللفافة فى الكهف رقم ٢

وهذه المخطوطة هى عمل جديد غير مسبوق لم يرد لها ذكر من قبل وهى غير معروفة. وليس هناك بين الإنتاج الفكرى اليهودى أو المسيحى ذكر لها أو مثيل لها فى فترة المعبد الثانى أو الفترة اللاحقة. ولم نعثر بين مخطوطات الطائفة على أى عمل شبيه بها. وكما أشرت فى البداية كان العنوان الكامل الذى وضعه البروفيسور سوكنيك لها هو (لفافة حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام).

وتتألف هذه اللفافة من تسع عشرة صفحة كتبت على خمسة دروج (أفرخ). وهناك خمس صفحات على الدرج الأول، ست صفحات على الدرج الثانى، خمس على الدرج الثالث وثلاث على الدرج الرابع. وعلى الدرج الخامس هناك صفحة واحدة لا نعرف مكانها بين سائر الصفحات أو مكانها على الدروج، ولكن مع الاكتشافات المتأخرة من نفس الكهف عثر على بعض القطع الصغيرة من نفس هذه المخطوطة ووجد أن الأنسب هو أن هذه الصفحة هى الصفحة رقم ١٩ ومن واقع هذه القطعة أمكننا قراءة عدد من الحروف التى لم تكن واضحة على النسخة التى بين أيدينا، فى الصفحة التالية على القطعة مما جعل بعض الباحثين يرى أن المخطوطة الأصلية كانت تحوى عشرين صفحة وليس تسع عشرة صفحة فقط ويرى الثقاة أن هناك نقصًا فى نهاية المخطوط وإن كانت بدايتها كاملة تمامًا.

والمخطوطة من الناحية المادية شأنها شأن كل المخطوطات التى عثر عليها هنا ممزقة متآكلة من أسفل. والحافة المتآكلة متموجة الشكل ولذلك يزيد عدد السطور فى صفحة عن الأخرى. ومن ثم يرى البعض أن متوسط عدد السطور فى الأصل كان يدور حول عشرين سطرًا.

ومن ناحية الخط فالخط ممتاز مقروء والناسخ هنا كما فى بعض المخطوطات الأخرى استخدم آلة حادة فى تسطير الصفحات أفقيًا لتحديد السطور التى يكتب

عليها ورأسيًا للفصل بين الأعمدة. كما أنه ترك هامشًا من الناحيتين. وقد ترك بين كل فقرة والأخرى مسافة سطر أو أكثر. والحروف نفسها كتبت هنا تحت السطر. وطول اللفافة بوضعها الحالى هو ٢.٩٠متر أو ٩ قدم و٨ بوصات.

وبقراءة محتويات اللفافة يمكننا أن نستخلص أهم ما جاء فى هذا العمل على النحو الآتى:

١- يرى أعضاء هذه الطائفة أن البشر ينقسمون إلى صنفين أو فئتين: أبناء النور وأبناء الظلام؛ ومن ثم فإن أعضاء الطائفة ينتمون بالضرورة إلى النصف الأول وهو أبناء النور.

٢- ويعتقد مؤلف العمل أن يوم النصر على أبناء الظلام قريب:

أ- ولسوف يأتى هذا النصر من عندالله فى يوم حدده هو نفسه مقدما.

ب- وأن أبناء النور سوف يشاركون فى الحرب بنشاط وهمة.

ج- وطالما أن أبناء النور سوف يشاركون فى الحرب فإنهم يجب أن يتعلموا قواعد المعركة: تلك المحددة فى الكتاب المقدس وتلك السائدة وقت الحرب.

د- ولو أن أبناء النور حفظوا القواعد المحددة فى الكتاب المقدس وفهموا تلك السائدة زمن الحرب فإن الله سوف ينصرهم فى النهاية.

٣- ويحذر مؤلف الكتاب من أن المعركة النهائية التى سوف يشارك فيها الرجال والملائكة لن تكون سهلة ولكنها ستجلب النصر لشعب الله. والمحق والسحق لكل "البليال" (مصطلح عبرى يعنى الأشرار الأوغاد).

٤- ولسوف تستمر الحرب أربعين عاما كاملة ولكن دون قتال فى سنوات (السبوت). ومن ثم سيكون القتال خمسًا وثلاثين عامًا فقط.

أما ما طبيعة هذه الحرب وما هى مراحلها ومن هم الأعداء الأشرار الأوغاد الذين ورد ذكرهم فى الوثيقة؟

ذكرت الوثيقة صراحة أن هذه الحرب موجهة نحو: القدوميين (أحيانًا تكتب

الإيدوميين) والأمونيين، والمؤابيين والفلستينيين (ليس هناك خطأ فى الكتابة إنهم الفلسطينيون القدامى الذين عاشوا تلك الفترة) هذه الشعوب المذكورة هى الشعوب المحيطة بإسرائيل ذلك الزمان. كذلك كانت هذه الحرب موجهة لـ كتيم آشور (لم يتم التعرف عليهم حتى اليوم)، وكذلك كانت موجهة للأعداء من داخل إسرائيل نفسها.

ولسوف تبدأ المرحلة الأولى من الحرب "عندما يعود أبناء النور المنفيين من برارى وصحارى تلك الشعوب (وهو يعنى بهم أعضاء الطائفة الذين يعيشون فى دول أخرى خارج فلسطين وخاصة سوريا) ويعسكروا فى برارى القدس.

وأشار المؤلف إلى أن المجموعة الأولى من الأعداء المذكورة بعاليه هى الأخطر بل الأعظم خطرًا لأنهم الأقرب جغرافيا ومن ثم لا بد من البدء بحربهم. أما حرب المجتمع كله – الطائفة جميعًا – فسوف تكون ضد الـ كتيم وحلفائهم وسوف يستمر القتال ست سنوات.

أما المرحلة الثانية من الحرب فهى موجهة ضد (كتيم مصر). والمرحلة الثالثة موجهة ضد ملوك الشمال وهى المرحلة الأخيرة من الحرب. ولسوف يشترك المجتمع كله (الطائفة) فى قتال الكتيم وحلفائهم بيد أن الحرب ضد ملوك الشمال ستقودها مجموعات تعمل بالتبادل. وبما أن ملوك الشمال هم الأبعد فى المكان سيكونون آخر من نقاتلهم. ولسوف يستمر القتال ضد ملوك الشمال تسعة وعشرين عامًا، ومن يطلع على هذه الوثيقة سوف يجد بها أسماء الأعداء المختلفين بالتفصيل الدقيق، وكيف سوف يحارب أبناء النور كلا من هؤلاء الأعداء على حدة فى قتال طويل.

وتبدأ قواعد المعركة بالقواعد الواردة فى الكتاب المقدس – أى تلك المتعلقة بالبوق والمعايير وهى مبينة أساسا على ما ورد فى سفر الأعداء الفصل العاشر. وقد أفرد المؤلف مساحة واسعة ومناقشة مستفيضة لدور البوق فى المعركة: حيث يقوم الكهنة أو القساوسة بالنفخ فى الأبواق، هؤلاء الكهنة النافخون فى الأبواق، عددهم

ستة وهم معدون ومحددون خصيصًا ولا دور لهم إلا نفخ الأبواق. وهم يتقدمون الوحدات؛ فى المقدمة. وهناك أبواق وإشارات مختلفة للعمليات المختلفة، أى لكل عملية أبواقها وإشاراتها. والأبواق المذكورة فى المخطوطة العسكرية إلى مجموعتين: أبواق احتفالية، وأبواق قتالية وكل فئة تحمل نقوشًا وشعارات تحدد الغرض منها؛ وعلى سبيل المثال إن الأبواق الاحتفالية تدعو المجتمع وتنادى عليه أن هلموا للحرب وهى تحمل النقش أو الكتابة (جنود الله) (حرفيا الذين دعاهم الله للقتال)؛ وأما الأبواق المخصصة لاستدعاء القادة: قادة الأفرع فإنها تحمل النقش (أمراء الله). وثمة أبواق لجماعة الليفيين تحمل النقش (جوقة الله). أما أبواق المعسكرات فإنها تحمل نقش (سلام الله على قديسيه فى مخيماتهم)، أما فيما يتعلق بـ(أبواق بعثة المعسكرات) فإنها تحمل نقش (ليمحق الله العدو وكل معاد للعدل والويل كل الويل لأعداء الله).

أما أبواق الحرب فإنها مصنفة على حسب المراحل التكتيكية للقتال وترتيبات المعركة. فهناك على سبيل المثال (أبواق مصفوفات المعركة) حيث تحمل النقش الطويل (مصفوفات كتائب الله التى تصب جام غضبه وانتقامه على كل أبناء الظلام). وهذه الفئة من الطبول تستخدم كإشارة لبدء المعركة. ولجمع الرجال الذين يحاربون بين الصفوف (المناوشون) هناك أبواق خاصة لاستدعائهم (أبواق استدعاء المناوشين) والنقش الموجود عليها (تواقون لتنفيذ انتقام الله فى الموعد المحدد).

وكانت شارة أو علامة بدء القتال الفعلى تعطيها (أبواق القتل) وشعارها (يد الله فى المعركة لتحطيم القتلة الآثمين). فى الوقت الذى كانت فيه أبواق الأكمنة المهاجمة تحمل نقش (خفايا الله لإهلاك الأوغاد). وكانت إشارة تعقب الأعداء تصدر عن (أبواق التعقب) وشعارها (الله يبتلى أبناء الظلام. ولن يتوقف غضبه إلا بعد إبادتهم) وثمة أيضا أبواق لانسحاب القوات المحاربة. هذه الأبواق أسمها (أبواق الانسحاب). وكان النقش (الله جمعنا).

والأبواق المذكورة فى كل فئة ووظيفة يعزفها (ينفخها حيث هى من آلات

النفخ) ستة من الكهنة، ولكن فى نفس الوقت هنا إلى جانب أبواق أصغر يعزفها الليفتيون وأعضاء آخرون فى المجتمع أيضًا فى محاربة الأعداء. وهذه الأبواق الصغيرة لا تستخدم إلا فى بدء المعركة وتسمى عادة صيحات أو صرخات الحرب.

وقد يكون من المفيد أن نقول أن مؤلف المخطوطة قد خصص أيضًا مساحة كبيرة لوصف اللافتات الكبيرة التى يحملها أعضاء المجتمع سواء فى مرحلة الانطلاق للحرب أو فى خلال مراحل القتال الفعلى. وقد اعتمد هذا الوصف على ما ورد فى سفر الأعداد. الفصل الثانى. فاللافتات يحملها أعضاء المجتمع (الطائفة) عند الانطلاق للحرب وفى خلال عمليات القتال الفعلى. وهناك ثمانية أنواع من اللافتات ورد ذكرها فى هذه المخطوطة. وكل لافتة تحمل اسم القائد والوحدة. وإلى جانب النقوش الأساسية التى تحدد طبيعة الوحدة هناك ثلاثة شعارات تلحق بكل لافتة تناسب المراحل المختلفة لتقدم القتال: "عندما يذهبون إلى المعركة"؛ "عندما يدخلون إلى المعركة"، "عندما ينسحبون من المعركة".

لقد كانت تلك هى نقوش وشعارات المجتمع (الطائفة) بصفة عامة ولكن قبيلة ليفى سابقة الذكر وعائلاتها (أى القساوسة أو الكهنة) أبناء كوهاث، جيرشون، ميرارى كانت لهم – كما رأينا فى حال الأبواق – لافتاتهم الخاصة بهم كتب على كل منها اسم عميد العائلة (أمير كوهاث..) وأسماء قادة الآلاف التى يرأسها.. وكان الليفيون يغيرون أيضا شعاراتهم طبقًا لمرحلة القتال؛ وعلى سبيل المثال عندما ذهبوا لقتال أبناء قارون كتبوا شعار (حق الله) وعندما دخلوا إلى المعركة كتبوا (يد الله اليمنى) وعندما رجعوا من المعركة كتبوا (المجد لله). أما أبناء كوهاث فإنهم حملوا الشعارات الآتية خلال المراحل الثلاث: (عدل الله)، (موعد الله)، (المجد لله). أما أبناء جيرشون فكانت شعاراتهم الثلاثة على الترتيب هى: (مجد الله)، (نفير الله)، (سبحان الله) فى حين كانت شعارات لافتات الـ ميرارى قد جاءت على النحو التالى: (حكم الله)، (انتقام الله)، (مجد الله). وكانت فروع عائلة الكاهن: الألف، المائة، الخمسون، العشرة. كان لكل منها شعاره الخاص.

أما عن تنظيم الجيش وأسلحته كما وردت فى هذه الوثيقة الهامة وبشىء من التفصيل فيمكن إيجازه فى فقرات محدودة:

هناك مجموعتان من المشاة: المشاة الخفيفة والمشاة الثقيلة. أ- المشاة الخفيفة تتألف من ٧٠٠٠فرد تتراوح أعمارهم ما بين ٣٠ سنة و٤٥ سنة وأسلحتهم ليست موحدة: سيوف، مقاليع، خناجر. ب- المشاة الثقيلة وتبلغ عدد أعضائها ٢١٠٠٠فرد وتتراوح أعمارهم ما بين ٥٠ و٦٠ سنة وأسلحتهم موحدة مع دروع من النحاس والرماح والسيوف.

وهناك الخيالة وهم ينقسمون أيضًا إلى مجموعتين: خيالة خفيفة وخيالة ثقيلة:

أ- الخيالة الخفيفة تتكون من ٤٠٠٠ فارس.

ب- والخيالة الثقيلة تتألف من ١٤٠٠ فارس.

وأعمار الخيالة تتراوح بنفس النسب للمشاة الخفيفة والمشاة الثقيلة؛ ونفس الأسلحة.

أما فيالق الخدمة أو فيالق غير المحاربين فإن مهمتها الأساسية سلب ونهب الأعداء وجمع وتخزين الغنائم وحراسة الأسلحة وتجهيز المؤن والعتاد. ويتراوح عمر رؤساء المعسكرات بين خمسين وستين سنة. وأعمار المساعدين لهم ما بين أربعين إلى خمسين سنة. أما القائمون بالخدمة الميدانية تتراوح أعمارهم ما بين خمسة وعشرين وثلاثين سنة.

أما أسلوب القتال على نحو ما ورد فى هذه المخطوطة فإنه يلخص على الوجه الآتى عبر المراحل المختلفة للقتال:

١- تتجمع كل الوحدات فى صفوف وتشكيلات محددة لتلقى الأوامر والصلاة.

٢- تنقسم الوحدات المقاتلة إلى صفين طوليين: أربعة تشكيلات فى الأمام وثلاثة فى الخلف.

٣- تترك مسافة كافية بين التشكيلات لمرور المشاة الخفيفة.

٤- وفى مراحل معينة من القتال إذا انهزمت إحدى الوحدات تتقدم على الفور الوحدة الاحتياطية لتحل محلها.

ولقد حفلت هذه المخطوطة بالموضوعات العسكرية والحربية الأخرى نقتطف منها:

١- تعليمات تغيير نظام وترتيب المعركة وتبديل التشكيلات طبقا لمقتضيات التكتيكات المختلفة التى تفرضها المواقف. وحيث يبدأ المؤلف هذه التعليمات بقوله "هذا هو تغيير النظام والترتيب المفروض لمصفوفات وحدات المعركة. وهذه التغييرات فى النظام تحمل الأسماء الآتية: "المستطيل الطويل مع الأبراج"، "الأسلحة المغلقة مع الأبراج"، "القوس مع الأبراج"، "القوس المسطح مع الأجنحة الناتئة من جانبى الصف". ويرى الخبراء العسكريون أن هذه المصطلحات العسكرية الفنية إنما تشير إلى شكل الصف الأمامى للجبهة طبقًا لتكتيكات كل مرحلة من مراحل القتال. وهناك مصطلحات أخرى كانت بالقطع مستخدمة فى جيوش أخرى فى حينه.

ومن الطريف أن مولف الوثيقة قد أسهب فى وصف (الأبراج) التى يتكرر ذكرها فى التشكيلات السابقة. فهى وحدات قتالية منظمة فى تشكيلات مربعة تتقدم للأمام. وجنود هذه التشكيلات يحملون دروعا طولها ثلاثة أذرع ورماحها طولها ثمانية أذرع. والدروع منقوشة بأسماء الملائكة فالدروع التى يحملها البرج الأول تتخذ اسم (ميكائيل) والثانى اسم (حبرائيل) والثالث اسم (سارئيل)، والرابع اسم (رافائيل). والأبراج هى أربعة فقط فى عدتها.

ومن الوضوعات التفصيلية الدقيقة التى حفلت بها المخطوطة العسكرية: موضوعات التعبئة، الإعفاء من الخدمة، واجبات الكهنة فى مختلف مراحل الحرب، إجراءات التكريس فى المعبد خلال عام السبوت.

- أما فيما يتعلق بموضوع التعبئة والإعفاء من الخدمة فيقول مؤلف الوثيقة أنه ليس لطفل أو امرأة أن يدخل إلى المعسكرات منذ دخول الرجال إلى الحرب وحتى عودتهم منها.
- والمؤلف يقرر أيضًا أن الفئات الآتية لا تلتحق بالحرب "أى شخص أعرج أو أعمى أو مقطوع الساق وكذلك أى رجل فى جسمه عاهة مستديمة أو أى رجل

مصاب بالبرص.. وأى شخص غير نقى فيما يتعلق بأعضائه الجنسية فى يوم المعركة لا ينبغى له أن يلحق بالباقين فى المعركة لأن الملائكة المقدسين عادة ما يكونون مع ضائفيهم.

• وأما عن واجبات الكهنة القساوسة: فهم ينقسمون إلى ستة وعشرين مساقا وليس أربعة وعشرين كما كان من قبل. ويقوم رؤساء المساقات بالخدمة كما هو موجود فى السجل وبعدهم يأتى فى الخدمة رؤساء الليفيين وعدتهم إثنى عشر رئيسًا وهم يخدمون "بصفة مستمرة.. واحد لكل قبيلة "وهم يحافظون على ترتيب الأولوليات فيما بينهم. وبعد هؤلاء يأتى رؤساء القبائل وآباء المجمع الدينى "ليقفوا بصفة سرمدية فى بوابات المعبد. ويأتى بعدهم الإسرائيليون العامة والذين يقومون أيضًا بالخدمة فى أعيادهم وفى أقمارهم الجديدة وفى فترات السبوت وفى كل أيام السنة.

ومن الموضوعات التى تشد الانتباه فى الوثيقة لفافة الحرب: الصلوات التى تصلى فى جميع المراحل الحربية وكل منها يناسب المرحلة والفعل الحربى. ومن أمثلتها: صلوات بداية المعركة؛ صلوات التشجيع الخاص بعد الهزيمة، صلوات الشكر بعد النصر. وقد أفرد كاتب الوثيقة عدة فقرات لمهام القساوسة المختلفين الذين يشرفون على الصلوات المختلفة. وغالبية الصلوات يؤمها الكاهن الأعظم نفسه (رئيس القساوسة).

وقد كرس الجزء الأخير من الوثيقة لوصف "المجموعات السبع للمعركة" والنصر الذى تحقق لكل منها مع الحظوظ المتفاوتة لأبناء النور وأبناء الظلام. وفى النصر النهائى لأبناء الظلام تحدث معجزة مثل تلك التى حدثت فى يهودا (المملكة الجنوبية خلال فترة تقسيم الملك (٩٢٨- ٥٨٦ق.م) عندما طوق سنحاريب القدس وحاصرها.

كان هذا عرضا عاما لمحتويات الوثيقة وظروف اكتشافها وظروف كتابتها ومن المؤكد أن مخطوطة ثمينة مثل هذه المخطوطة كان لا بد أن تثير الجدل حول أهميتها من جهة وحول تاريخها ومحتوياتها من جهة ثانية.

من حيث الأهمية فهذه هى المرة الأولى التى نحصل فيها على بيانات شاملة حول التعليمات العسكرية فى الجيوش اليهودية خلال الفترة المتأخرة بين حياة المعبد الثانى والتى أيضا تشتمل على مصطلحات عسكرية لم تكن معروفة من قبل والتى أتينا على جانب منها. ونكرر هنا ما قاله إيجال يادين أن مؤلف المخطوطة قدم لنا (أقدم سجل للعسكرية العبرية وصل إلينا بطريقة أوضح وأدق من أى عمل آخر حول الموضوع على يد أحسن المؤرخين الكلاسكيين. ومن جهة أخرى قدمت لنا الوثيقة مجموعة من الصلوات الجميلة التى تؤدى فى المراحل المختلفة للحرب. ومعظم هذه الصلوات لم يكن معروفًا من قبل. ولما كانت الطائفة صاحبة الوثيقة تتبع نمط التنظيم القبائلى فى إسرائيل (القديمة) خلال فترة التيه فى البرية والقفار على نحو ما هو موصوف فى سفر الأعداد، فإن هذخ المخطوطة تهيئ لنا الفرصة لدراسة هذا التنظيم والتفسير الدقيق لبعض الفقرات غير الواضحة فى الوصف الذى جاء فى الكتاب المقدس. وهناك بالقطع فائدة محققة وهى تغيير الفكرة العربية السائدة عن اليهود وهى أنهم شعب غير محارب وأنهم شعب غير زارع؛ وقد خطط العرب لعلاقاتهم مع اليهود على هذا الأساس فخدعوا وضللوا وساء سبيلهم. هذه الوثيقة تؤكد أين شسعب محارب ويدعم ذلك أيضًا الثورة اليهودية الأولى (٦٦ – ٧٠م) والثورة اليهودية الثانية (١٣٢ –١٣٥م).

وكما ألمعت ثار جدل عظيم حول مخطوطة الحرب هذه بصفة خاصة – كما كان هناك جدل حول المخطوطات كلها على ما أسلفت – وربما تركز الجدل حول ثلاث جزئيات: التأريخ، تحقيق الكتيم، وصف المعركة.

من حيث التأريخ يؤكد إيجال يادين أن هذه المخطوطة كتبت بين ٥٠ ق.م و٥٠م وإن كان يؤرخ العمل الأصلى بعد هزيمة الرومان ٦٣ ق.م وقبل نهاية حكم هيرود (٤ق.م). ويرى ديل – ميديكو بشيء من اليقين أن النص كتب بعد ٧٠م بل يرى احتمال كتابته سنة ١٣٥م. ونحن نعرف أن ديل – ميديكو يربط قصة كل مخطوطات البحر الميت وشروح حبقوق بصفة خاصة بالسنوات الأخيرة قبل تدمير

المعبد وهى السنوات ٦٦ – ٧٠م. ويستند ديل – ميديكو فى استنتاجاته تلك إلى بعض الوقائع التاريخية فى شرح حبقوق ومن بينها:

١- أن واعظ الكذب هو الملك أجريبا الثانى وهو الذى قام بإلقاء المواعظ التى يحث فيها على الصلح والسلام مع الرومان.

٢- أن هناك مواقف وأحداثًا محددة وموثقة مذكورة فى الشرح وقعت بعد سنة ٧٠م.

أما فيما يتعلق بالكتيم الذين ورد ذكرهم أيضًا فى بعض المخطوطات الأخرى وفى العديد من أسفار الكتاب المقدس فقد أثاروا أيضًا قدرًا من الجدل حول هويتهم وعلاقتهم بمجتمع قمران وحيث يرى البعض أن الكتيم هم الرومان فى حين يرى آخرون أنهم الحكام المقدونيون فى مملكة السلوقيين فى سوريا، الخصم اللدود الأول لليهود بين ٢٠٠ و٦٣ ق.م وأغلب الباحثين فى زماننا على أن الكتيم هم الرومان. وأنا بدورى أعتقد أن الكتيم صفة للعدو أيا كان بدليل أنها أطلقت فى نفس هذه الوثيقة على المصريين؛ ومن ثم يكون الكتيم هم أى عدو للطائفة. ونحن نعلم من شرح حبقوق أن الكتيم متوحشون وقساة وهم يأتون من البحر ويدمرون الناس ويهزمون المدن وما إلى ذلك من نعوت. ولقد تم فى منتصف الستينات من القرن العشرين نشر عمود من (شرح ناحوم) يقول فيه الشارح "ملوك الاغريق من أنطيوخوس حتى ظهور ملوك الكتيم". ومما لا شك فيه أن ملوك الإغريق يقصد بهم هنا السلوقيون وقد كان انطيوخوس واحدا منهم. وطالما أن حاكم الكتيم يشير إلى نهاية فترة حكم أنطيوخوس فإن حكام الكتيم لا يمكن أن يكونوا هم الملوك الاغريق وبذلك فإن فترة حكم السلوقيين تكون قد انتهت وبدأت فترة حكم الرومان. وما يحملنا على الاعتقاد بأن الكتيم هم السلوقيون ما ورد فى مخطوطة الحرب من ذكر لـ كتيم آشور وكتيم مصر على ما أسلفت.

ويذهب فريق آخر إلى عدم تصديق أن الكتيم هم الرومان وأن الوثيقة لا يمكن أن تكون بالتالى قد كتبت فى الفترة الرومانية، ويرى هذا الفريق أن الكتيم كانوا

موجودين فى الحقبة اليونانية ويرون أن المقصود بهم فعلا هم المقدونيون فى مصر وسوريا فى إشارة واضحة إلى البطالمة فى مصر والسلوقيين فى سوريا. وقد وفر إيجال يادين تفسيرا جديدًا من واقعة وثيقة الحرب حيث فسر كتيم آشور وكتيم مصر جاءوا ضمن الخطة العامة الشاملة للحرب وحيث كانت المرحلة الأولى للحرب ضد الجيران الأعداء لإسرائيل ثم كتيم آشور ثم من ينقض العهد داخل إسرائيل نفسها. وفى المجموعة الأولى سنجد القدوميين، وكانوا جيران إسرائيل من الجنوب ثم المؤابيون والأمونيون جيران اسرائيل من جهة الشرق، وكان هناك الفلستنيون من جهة الغرب. ومن ثم يكون كتيم آشور هم أعداء إسرائيل فى الشمال وحيث يرى البعض أن اسم (آشور) كان أسما عاما لسوريا والجزء الشمال من العراق. وفى المرحلة الثانية من الحرب ستكون الحرب موجهة ضد كتيم مصر. ويركز إيجال يادين على القول أنهم يسمون (الكتيم فى مصر) وليس (كتيم مصر) ويبرر ذلك بقوله أنهم قوم من نفس عرق الكتيم عاشوا فى مصر وهم من نفس كتيم سوريا وآشور. وفى رأيه أن الكتيم ليسوا بالضرورة فى فترة ما قبل الرومان.

وإصرار يادين على أن الكتيم هم الرومان بنى على نوعية العتاد العسكرى وإجراءات الحرب التى وردت فى مخطوطة الحرب نفسها. فقد وجد أن الأعتدة والأجزاء تشبه إلى حد كبير أسلحة الرومان وأن التكتيكات التى وضعها مؤلف الوثيقة ربما يكون خبرها بنفسه أو استقاها من مصادر رومانية معاصرة. وإن كان مؤلف الوثيقة لم يستخدم مصطلحات لاتينية على نحو ما حدث فى أعمال الربابنة المتأخرين إلا أننا نشتم فى الوثيقة المخطوطة بوضوح رائحة "عبرية الترجمة" فكلمة جناح الواردة فى الوثيقة بالعبرية بطريقة غير معتادة لتدل على وحدة الخيالة والتى كانت شائعة لدى الرومان.

ويوافق دوبونت – سومر، على أن المقصود بالكتيم هم الرومان فى مخطوطة الحرب ويدفع بدفعين من عنده فى هذا الإتجاه ففى المرحلة الثالثة من الحرب ستكون السنة الأولى من القتال موجهة ضد آرام نهاريم (شمال العراق)، وعدم ذكر سوريا هنا فى هذه المرحلة معناه أنها قد هزمت خلال هزيمة الرومان. هناك شعوب

أخرى مختلفة فى آسيا الصغرى وجنوب بلاد الرافدين (العراق القديم) كان لا بد من إخضاعها خلال السنوات الأربع التالية، وحيث لا بد من تكريس السنة السادسة والسابعة لقتال "كل أبناء آشور وفارس وكل شعوب الشرق وإلى أبعد نقطة فى الصحراء الغربية". وقد يرى البعض أن جمع كل هذه المناطق معًا فى الوثيقة يعنى أن الامبراطورية الفارسية كانت قائمة.

والجدل الثالث حول هذه الوثيقة يأتى من (وصف الحرب) ذلك أن الباحثين تواجههم مشكلة ما إذا كانت مخطوطة الحرب تصف حربا حدثت بالفعل فى الماضى؛ أم حربًا تدور رحاها وقت كتابة المخطوطة أم حربا يخطط لها مستقبلاً. كذلك فإن الباحثين محتارين فيما إذا كانت تلك حربا حقيقية أم حربًا وهمية نظرية.

لقد كان كاتب الوثيقة يعتقد أن الوقت قد حان لكى يحارب شعبه – أعضاء الطائفة – أعداءهم (أبناء الظلام)؛ وكما ورد فى الوثيقة كان يرى أن هذه المعركة يجب أن تحدث على الأرض وفى السماء. وعلى الرغم من أنه كان يعتقد اعتقادًا راسخًا أن ملائكة النور وأن الله بذاته سوف يأتون لمساعدة أبناء النور وأنهم سيحاربون فعلاً من أجلهم، إلا أن كاتب الوثيقة على الطرف الآخر كان يعتقد أنه وشعبه يجب أن يقاتلوا قتالاً حقيقيًا ضد أعدائهم بأيديهم هم. وأن مخطوطة الحرب هى فى الواقع وصف ودليل لهذه المعركة التى ستقع بالفعل مستقبلاً. ويعتقد إيجال يادين أن من أهم أغراض هذا الكتاب هو تحليل قوانين وتكتيكات الحرب على نحو ما كانت تمارس به عند كتابته وأن يحدد علاقة هذه القوانين والممارسات بما جاء فى التوراة وكيف ينبغى أن تدار الحرب المقدسة.

* * *